خواطر تاريخية

عدنان الحسني

"اعلام"

الرحالة ابن بطوطة جزء ٤

فيما ذكر قبلاً فان رحلة ابن بطوطة الى بـلاد الشام تظهر ان بعضها تم في فصل الربـيع او الصيف وبـخاصة في بـعض مناطق الشـام ولبنان.

ثم حط بنا الرحال الى بعلبك وهي مدينة حسنة وقديمة.. من اطيب المدن تحيط بها البساتين الوارفة والجنات المنيفة والانهـار الجاريـة تخترق أرضها، وهي تضاهي دمشـق في خيراتها المتناهية وفيها حبّ الملوك ما ليـس في سواها "يريد بذلك الكرز" ثم ينتقل بوصفه الى تحليل عن مدى خصوبة تربتها وكيف ان المناخ عندهم يبرد في فصل الشتاء ومن هذا ايضا يظهر ان الرحـالة لم يكتف بـايام او اسابيع ليكون تلك التصورات عمّا يشاهده بل انها تمتد لمدة..

ومما ذكر عن الصناعات وهي يدوية بالتاكيد ذكره عن صناعة اهل بعلبك للأواني والملاعق حيث كانت هذه المدينة تشتهر بهذه الصناعة المهارية اذ انهم اشتهروا بـصناعة القـدور والتي تسمى عندهم بالنّسـوت.. وكيف انهم يصنعون الملاعق لتناول الطعام فقد اعجب الرحـالة بـتلك المهارات في صناعة هذه الاواني وكيف ان الرائي لتلك الاواني ومنها الملاعق يخيّل اليه انها واحدة واذا بـها عددا فوق الثلاثة والاربعة ولكنها تبان واحـدة اذ انها تدخل بعضها فوق بعض.. اذ يقول

"انهم يسمّون الصّحاف بالنّسـوت وربـما صنعوا الصفحة وصنعوا صفحة اخرى تسعها في جوفها الى ان يبـلغوا العشـر فيخيّل الى رائيها انها صفحة واحـدة، وكذا الحـال مع الملاعق يصنعون فيها العدد واحدة في جوف واحدة..

ثم يستطرد حيث يصف مدينة دمشق فيقول:

"وتحيط بدمشق ضواحٍ فسيحة يشـرف عليها جبل قاسيون وفي هذا الجبـل وبالتحـديد في اخره هناك الربوة المباركة"..

والظاهر في قوله ان الربوة المباركة هي التي ذكرت بالربوة ذات القرار والمعين، وقد وصف ابن بطوطة مضارب الصحراء ورمالها حـيث يقـال ان الداخل اليها مفقـود والخارج منها مولود، وكيف إن الركب الذي سـار معه ابـن بطوطة قد شق رمال الصحـراء وعـبروا الى الحج.. فمر بتبوك وقبـل ذلك الى وادي بـلح حـيث لا عمران قاحـلة جرداء تغطيها ذرات الرمال الذهبية ولا يعرف لها ماء.. ويصف هذا الرحالة كل المحـطات التي سـار اليها الركب وانطلقـوا منها للوصول الى اماكن اخرى اذ يقول:

"وانتقـل الركب من تبـوك الى بـركة المعظم مجتازاً وادي الأخيضر.. ثم وصل الى بـئر الحجر وهو حجر ثمود، وهي لاحـدى القبـائل العربية البائدة. وتحـيطها جبـال من الصخر الاحـمر، وفيها آثار منقـوش عليها يظن المشاهد انها حديثة الصنع".

ثم يصف الاماكن التي تلي المناطق وكيف انها تتحول من اراضي قاحـلة جرداء الى مناطق ذات بهجة وخضرة.. ومن ثم تتنقـل طبـيعة الارض مرة اخرى الى الطبيعة القاسية.. يذكر الرحالة ذلك بقوله:

"وبعد بئر الحجر قرية العلا وهي واسعة حسنة تحيط بها البساتين، وان اهلها اصحاب امانة ثم يلي ذلك وادي العطاس وهو واد شـديد الحـر وطالما تهب عليه رياح السّموم المهلكة، وبعد ذلك يؤدي الى قـرية هديّة وهي ذات الماء الزعاق"..

هذه المشاهدات التي ذكرها ابن بـطوطة كلها كانت مشـاهدات في فترة شبابـه.. فأمعن الرحالة الشـاب في تأملاته بـالاضافة الى مشـاهداته.. وراح الطموح يأخذه صوب الأستزاده من المعرفة والمشاهدة..

مدينة نوزي او كاسور قرب كركوك

فؤاد يوسف قزانجي

Fouadkazanchi2005@yahoo.com

نوزي nuzi او نـوزو nuzu وموقـعها في يورغان تبّه، مدينة تبعد عن ارنجا كركوك" حوالي ١٤ كم وهي في الاصل بـلدة رافدينية قديمة بـنتها الاقـوام الاكدية مدينة كاسور gasur وقبـل خاصور وذلك بـين "٢٤٠٠-٢٣٠٠ ق.م". وكان سكان كاسـور يرغبـون أن يكونوا مستقلين في مدينتهم فصاروا اشبه بدويلة مدنية.

وان اول الحكام المعرفين لدينا حتى الان كـان إتي itti الـذي امكن تشخيصه في نص مقـتضب على كسـرة من المرمر يمكن ان يرجع تاريخها الى العصر الاكدي ويقـرا النص: " اتني الحاكم (ين-إتن-لابا) كر س هذا الى الالهة اننا من غنائم كاسور"١".

وفي الاعوام "٢٢٤٠-٢١٢٠ق.م" غزا شمال شرق العراق القديم قـوم جبليون غير متحـضرين تماما "برابـرة" جاءوا من خلف جبـال زاكروس يدعون بـالكوتيين واختاروا مدينة كاسور ليبـنوا فيها قصورهم ومعبدهم الرئيسي، وربما اتخذوها عاصمة لهم بعد ان اسموها نوزي او نوزو. وبـعد ان استعاد السومريون البلاد بقيادة الملك لوكال زاكيزي وطردوا الكوتيين استقـرت بلاد الرافدين لفترة تقارب الخمسـة قرون، حينما هاجمتها اقـوام غازية اخرى هم المتياتيون او الحـوريون وذلك في السـنوات "١٥٠٠-١٣٥٠ق.م" وكان مركزهم الرئيسي في بداية استقـرارهم مدينة نوزي. وبـعد فترة اقـاموا لهم عاصمة في بـلاد الرافدين وذلك في موقـع "تل الهوا" التي تبعد حوالي "٩٠كم" عن نينوى "الموصـل". وكانـت هـذه العاصمة هي واشوكاني التي نقـب عنها في نهاية الثمانينات من قبل بعثة بريطانية-استرالية مشـتركة فوجدت رقما طينية تشير الى مدينة واشوكاني بعد ان كانت بعثة اميركا قد اعتقدت انها وجدت العاصمة في الفخيرية على نهر الخابور في شمال سوريا.

ولم يكن للحوريين او ابناء عمومتهم المتياتين تقاليد حضارية تذكر سوى لغة حورية محدودة التعابير، لذلك تعلموا الكتابة بـالخط المسماري العراقـي وتعلموا اللغة الاكدية لمخاطبـة سـكان المنطقـة التي استولوا عليها من بـلاد الرافدين، وكانت دولتهم قد امتدت في شـمال سوريا حتى مدينة "الالاخ".

واصبحت نوزي مركزا تجاريا مهما في شمال شرقـي العراق مع المدن التي سـيطر عليها المتياتيون والحـوريون في شـمال العراق وسـوريا. وكان الميتانيون يمثلون عائقا امام القوة الآشورية في منطقة اشور وفي عهد الملك اوبلت الاول "١٣٦١-١٣٢٦ق.م" الذي جهـز جيشـا مدربـا هاجم فيه القـوات الميتانية في شمال وشرقـي العراق واسـتطاع ان يجعلهم فلولا تهرب يمينا ويسـارا، فـسقـطت نوزي واشوكاني بأيدي الآشوريين وهرب الجيش الميتاني الى شمال سـوريا. واصبحـت نوزي مدينة آشـورية مهمة "٢" ومؤلا لتجمع القـوافل القادمة من بـلاد الميدين في ايران وتلك القـادمة من جنوب العراق. وذكرت احدى الرقم المكتشـفة في نوزي، الى ان احد التجار الآشوريين الكبـار والمدعو "تخيب-تلا" الذي كان يتعاطى التجارة قد صار بـارعا في اعمال البيع والشراء وفي امتلاك الاراضي الشاسعة في نوزي. ضمن المعروف إن الملك الآشـورية كان يقتطع قطعا من الاراضي الى جنوده الذين يكلفون بـخدمة اجبـارية في الجيش، وهي اراض لايمكن تغييـر صفتها او تبديل مالكها الا بالوراثة، وقـد استعان تخيب تلا بالحيـلة القانونية من اجل تملك هذه الاراضي وذلك عن طريق ادعائه بتبني هؤلاء الاشـخاص لكي يرثهم فيعطون له الاراضي مقابل اثمان او هدايا"٣".

ان ابرز من نقب في نوزي ونحـتها كاسور كان البـريطاني ادور كبيرا والاميركي افرايم سبايزر، حـيث تم العثور في خزائنها على حـوالي "٤٠٠٠" رقيم توزعت على متاحف بـريطانيا واميركا والتي وجدت معظمها في معـبد مدينة نوزي تضم قـضايا مختلفة ابـرزها التعاملات التجارية والاقـتصادية ومن بـينها مشغلات الرقـيق، هذا الى رسـائل متنوعة تخص النذور في المعابـد وجداول بـأجور العمال. كما وجدت في المدينة بقايا قصرين في القـرن السادس عشر قـبل الميلاد لاجداد حاكم متياني. اما معبد المدينة فكان على شكل مستطيل مشابـه للمعبـد الموجود في موقـع تل الفخار الذي يبعد ٣٥كم غربا. ويبلغ طول المعبد "٢٠٠م" وعرضه "١٣٥م" ويرتفـع بمقـدار "٤,٥م". وتميزت نوزي بـفخارها الذي يتمثل في الاقـداح الطويلة والنحـيفة ذات القـاعدة الصغيرة. وان فخارها ملون بأصباغ سوداء وبيضاء يصعب تحليلها. وقـد ساعدت بـعض اللقـى الاثرية على تفسير العديد من الفقرات الصعـبة عن روايات الاباء الواردة في سـفر التكوين التي يعود تاريخها الى تلـك الحقبة "٤".

وقد وجدت كبيرا"٦" في قـصر الملك "تتهيد-يبتلا" tehiptill اكثر من الف رقيم تتعلق بـالاعمال المختصة القانونية والتجارية والتي تعود الى احد الاشخاص الذي كان يدير شؤون القصر.

وقلم الاستاذ ار.اج فايفر من جامعة بوسـطن في اميركا بالتنقيب عام ١٩٢٨ في طبقات اكدية وقـديمة. وفي عام ١٩٣٠ وجدت بـعثة اميركية صور من الفسيفسـاء ومنجرة من الفخار ومسـامير زجاجية وتماثيل صغيرة لاسـود مزججة وهي تعرض حـالياً في متحف جامعة بنسلفينيا في اميركا. اما الرقم القـانونية التي وجدت في نوزي فقد تم ترجمتها ونشـرها من قبـل لجنة مشـتركة من متحـف الجامعة المذكورة والمدرسة الاثارية في بـغداد. اما النصوص الاكدية والسومرية التي وجدت فانها حـاليا تشـكل مجلدا من النصوص في سلسلة كتابات هارفارد السامية "٥". ومن الجدير بالذكر ان الآشوريين كانوا يسـمون المتياتين الخانيكالبـاتيين ويسـمون دولة متياني "خانيكالبات". وقد وجدت في النصوص المنشورة من الرقـم المكتشـفة في نوزي ان بـعض المتياتيين كانوا يستلمون الجرايات، والبعض الاخر موظفين مرسلين الى نوزي، وورد ايضا عند الآشـوريين اشـارات الى راكبـي العربـات من الخانيكالبـاتيين، مما يؤكد وجود وحدات عسكرية متيانية كانت تجوب المنطقة امام انظار الاشوريين "٥". كان اله المتياتين القـومي هو "تيشوب"teshup وهو بالحقيقة اله العاصفة في الجبال ورفيقـه كان "هبا" وهي الالهة الام، وكانوا قـد احتلوا شمال سـوريا حـتى الالاخ "alalah" بين حـلب والطاكيا، وتعلموا الثقافة والتقـاليد التي كانت سائدة في بـلاد الرافدين وفي بـلاد كنعان، وكانوا قـد سـيطروا على احدى البلدات الواقعة في موقع "تبه كورا" والاخرى في "تلبـيلا" قـرب نينوى ولا يعرف اسـميهما، وكان المتياتيون قـد انطلقـوا من "خانيكالبات" او من نهرين اما ابـرز ملوكهم فكانوا مايتوازا وتوشـراتا وكان محاربـيهم يسـمون "مريانو" وهو يعتبرون من الاقـوام الهندو-اوربية وينطبـق هذا الوصف على المتياتيين والحوريين ايضا.

المصادر

"١"ساكز، هاري. قوة آشور، ترجمة عامر سـليمان. بـغداد: المجمع العلمي، ١٩٩٩ "ص٤٨".

"٢" مشـتاق، طالب محـمـد. مدن العراق "مترجمة عن الموسـوعة البـريطانية" مجلة ميزوبـو تامية. العدد ٥-٦ تموز ٢٠٠٥ "ص٦٣".

"٣" النجفي، حسـن. معجم المصطلحـات والاعلام في العراق. بـغداد: دار واسـط. ١٩٨٢ "ج١/ص١٥٢".

"٤" سـاكز، هاري. قـوة آشـور. المصدر السابق ص ٦٧.

"٥" the babylon collection.unir.of penn.museum.vol./d June 1944 editor leom legrain "p.68"

ملحمة كلكامش - والفرد العراقي*

حسن الوزني

"هو الذي رأى كل شيء حتى نهايات الأرض ، الذي خبـر جميع الأمور وعد الكل، الغزير الحـكمة الذي عرف جميع الأمور جلجامش" ... اللوح الأول _ العمود الأول.

بهذه الكلمات بدأت ملحمة كلكامش وهي أقدم نص أدبي منظوم شعرا تدور وقائعها حـول بطل واحد وصلت ألينا من العالم القديم، على الرغم من إن الملحمة تدور حـول شـخصية مهمة واحدة هو جلجامش وإنها مليئة بالمادة الأسطورية الآ أنها تعج بالمعلومات التاريخية المهمة حول بـدايات العصور التاريخية كان جلجامش ملكا على مدينة أورك وكان حاكما ظالما ويضطهد رعيته بشـدة. ومن ظلمة ضجت رعيته وشكته عند الآله انو فـسمع شكواهم واستجاب لهم، فخلق ندا لجلجامش واسماه انكيدو وجعله يتربى في البـرية مع الوحوش.

ثم يلتقي انكيدو و جلجامش ويتصارعان امام الناس صراعا شـديدا وثم يتصالحـان ويصبحان صديقين حميمين ويسيران ليقاتلا ملك غابات الأرز خومبابا الوحـش الجبـار وبعد معركة حامية يقتلان خومبابا، ويعودان إلى أورك فيمرض انكيدو ويموت ويحـزن جلجامش لذلك حزنا شديدا ويلبـس السـواد ولخذ يجوب البراري، ويصل إلى الحانة وهنا تنصحه صاحبـة الحـانة إن يترك هيامه في البرية ويذهب للبحث عن الخلود الذي جعلته الآله حكرا لها، فيذهب جلجامش إلى صاحب الطوفان وهو اوتونابيشتم والذي يعتقد أنة " نبي الله نوح" .

فيرشده إلى نبتة تجدد الشباب وتخلد البشـر ويحـصل جلجامش على هذه النبـتة ولكن عندما نزل ليستحم في البـئر جاءت الحـية وسرقت النبتة واخذ جلجامش يبـكي ويندب حـظـه. وأخيرا عاد إلى أورك صفر اليدين نادما على ما فات لكنه استفاد من خبـرته وحكمته، وأصبح حاكما عادلا رؤوفا بالرعية فخلد في قـلوب الناس وعمر أورك وبـنـى سورها العظيم ومعبدها الكبير...

ورغم تأكيد الملحـمة على مزج العنصرين الالهي والبشري في شخصية جلجامش الا إن الملحمة عكسته كانسـان اعتيادي طبيعي يصيبه ما يصيب الإنسـان من أفراح واتعاب واحزان ومخاوف وقلق ولم تعط الملحمة أية خوارق لجلجامش تقربه من عالم الآلهة..

لو تأملنا هذه الملحمة لوجدنا أنها مشابهة لما يجري اليوم على الفرد العراقـي من معاناة يومية.

الفرد العراقي عانى مثل ماعانى شعب أورك من حكم جلجامش الظالم ونزواته وحروبـه، فشكوا إلى الله واسـتجاب لهم وأرسـل إلى العراق ند جلجامش وهو انكيدو الذي سـمي اليوم أميركا وهنا دخل الشعب في مأسـاة أخرى وجاءنا مع أميركا منة جلجامش، لكن جلجامش تصالح مع انكيدو كما ابـرم العراق الاتفاقية الأمنية مع أميركا، والشعب العراقي ظل يبحـث عن الخلود وهي لقـمة العيش والرزق له ولعياله والشبـاب كجلجامش تعودوا على الذهاب إلى الحانة وهي المقاهي لقتل وقـت الفراغ والبـطالة، لكن جلجامش يصل إلى مرحـلة النضوج ويذهب إلى الرجل الصالح اوتونابيشتم ليهديه إلى الطريق الحق وكذلك الفرد العراقي الذي يؤمن برجال الدين ويهتدي بتوجهاتهم وفتاويهم، لكن جلجامش بموت صديقة انكيدو وضياعه لنبـتة الخلود يعود لمدينة أورك ويبدأ حياة جديدة فيصبـح حـاكما عادلا ويهتم بـرعيته لأنة امن بـأن الخلود يأتي بـالعمل الصالح والذكر الطيب والأمانة بالحكم، فهل ياترى ينتبه سياسـيونا وقـادتنا إلى هذه الحـكمة ويعيش الفرد العراقي حـياة كريمة وعيشـا رغيدا في ظل خيرات وثروات بلاده العزيزة، وان شـاء الله سـيأتي يوم يكون فيه العراقـي ما ذكره هذا النص؟؟

"لأصرخ وسـط أورك أنا الأقـوى، وانأ الذي أغير المصائر، الذي ولد في البـرية والذي حـوله هو الأقـوى" اللوح الأول_ العمود الخامس .

* موقع كتابات

معرفة النفس بعد التامل و التركيز في كينونة الحياة*

عماد علي

بعد المرور السطحي لما وصفه لنا التاريخ و استقراء ما تضمنته الحياة البشـرية، ندخل مجبرين في التامل العميق و بشـكل مركز و بـما لدينا من المعلومات في تركيبـة ذواتنا ونسبـر اغوار جذورنا، ونتطرق بشـكل مسـهب و تفصيلي الى الكون والتطور الحاصل فيه بالذات والانسان كآخر نتاجاته، و ربما ندخل في متاهات جدل العقل و هذا ما يحـتاج الى القـوة و الارادة للخروج منها باستنتاجات مقنعة تفيدنا، ونخدم بها البشرية ان كنا على صواب.

ومن ثم يتبين لدينا ان الانسان وحـده يتفرد في الدخول الى عالم التامـل عـن طريـق الاستخدام الصحيح لعقله و يمكنه التركيز و يتناوب التركيز و التامل بـعد كل لحـظة و اخرى، و حتما لم يصل الانسان دفعة واحـدة او منذ نشوئه الى ما توصل اليه اليوم، و لكن قدرته على ملكة العقل و تفعيله خلال التفاعل مع المكتسبات المتراكمة في عقله البـاطن و من محيطه، يمكنه من التقـدم في مسـتوى استدلالاته العقـلية، و هذا طبـعا بـفضل تطورات و ارتقـاءات طالت دماغه تاريخيا حـجما و تركيبـا وقـدرة عمل لمئات آلاف السـنين، و حـصلت تغيرات كيميائية وانسجمت العقلية مع المحـيط، اي تداخل و تفاعل العقل او الدماغ مع تطورات المحـيط مما نتج تفكير و معادلات الترابـط الكيميائي مع التركيب الفيزيائي و حـصلت التغيرات والنمو في طبيعة وعمل العقـل مما اثر على تفكير الانسـان وعمله و بـدوره غير في نتاجاته وثمار عمله.

كلما يركز اي منا في تامله لمعرفة الكون بعد تراكم المعلومات سيصل في النهاية الى نواة العناصر الخفيفة والطبيعة الفيزياوية للمادة و كيفية التبرد البـلازمي الكوني و من ثم ما لاحقته بعد سلسلة من القـفزات في مراحـل متعددة مما حصلت التغيرات المريعة قياسـا بالتطورات الحـالية البـطيئة المتدنية الان، نظرا للتحركات العشـوائية لمكونات المادة بداية ومن ثم استقرارها بعد اتخاذها الاشكال المختلفة.

بـعد كل تلك الهيجانات وتهدئة الحـالة واستقـرار الوضع العادي بـدات الحـياة والمواد الحـية البـدائية وظهرت امامها المعوقـات وانبثقـت من رحـمها الحـلول ووصلت الى ما وصلت اليه اليوم، و الفـرد الانسـان يتمتع بعقـل ودماغ يمكنه التامل والتفكير والتركيز وهو في حالة تطور ونمو مستمر ويتفاعل مع الواقـع مؤثرا و متاثرا به. وهكذا ارتقـت الاعضاء عبـر الازمان الغابرة واستندت الى نتاجات الفكر الانساني و تطوره البايولوجي مع الاخذ بنظر الاعتبار التغيرات المناخية و ما نتجت من الاجنـاس والانواع والاعراق البشرية ومنها المنقرضة وما بقـيت منها الحـية وكيف توصلت الى الوضع الحـالي لشـكل وتركيب ومضمون الانسان العقلي والبدني.

ومن هذه النافذة يمكن التامل والاسـتنتاجات العقلية تتوافر وبها يمكن النظر الى الحـياة وابـعاد سلاسـل الاوهام والافكار السلبـية والعوائق الفكرية الشاذة احيانا التي تعيق مسار التطور والفكر السليم، و ان خرجنا من تاملات طويلة و عميقة باسـتنتاجات علمية دقيقة غير خيالية بـعيدة عن الميتافيزيقـيا ومؤثرات تراكمات التاريخ مـن الافـرازات الروحية وطرق تفكير الضعفاء السطحـيين في كينونة الكون، و الاعتماد على الخيـال و الغيبيات، يمكن تنوير ذات الانسان وتوسيع الطريق العلمي السليم لتبشـيره وترشـيده للتفكير واتخاذ ما يفيده و يفيد البشـرية بـه دون الايغال في عالم الخرافات والاساطير و الخيال، فليكن جهده نقطة من بحـر التقـدم البشري. واولى الخطوات تبدا بمعرفة النفس بشكل صريح و صحيح ومقنع بـتامل وطرق علمية معتمدة لتتوضح ماهية كينونة الحياة وجوهرها وكيفما توصلت التجارب التاريخية السابقة الى ما توصلت اليه الحياة الان.

* عن جريدة الحوار المتمدن الالكترونية.

رئيس دولة وأفعاله

حول اختلاف بين المسؤولية السياسية والأخلاقية من جهة والجنائية من جهة اخرى

بروفيسور كاي امبوس
المترجم: سعيد بير مراد

لم يترك الرئيس جورج بوش البيت الأبيض بعد لكن معارضيه يلوحون بسيف القـانون الجنائي الحـاد لمحاسبـته على أعماله خلال فترة رئاسته. وهنا وقبل كل شـيء يذكر المدعي العلم الأميركي المتقـاعد فينست بوكليوسي في كتابه "لائحة الاتهام بالقـتل ضد جورج بـوش" والذي أصبـح معروفا عندما مثل الادعاء العلم في قـضية ضد زعيم العصابة تشالز مانسون، حيث يذكر في كتابه بان بوش قـام بـتضليل الكونكرس والشـعب الأميركي بـخصوص عملية غزو العراق وتسبب بذلك في قـتل آلاف الجنود الأميركيـين وهـذا الأمـر جديـر بالاهتمام من الناحية الجنائية.

من الناحية القانونية ليس هذا سوى فرضية:

أي استنادا الى المبدأ الذي تم إقراره في الولايات المتحـدة الأميركية من قبل المحكمة الاتحادية العليا في عام ١٨٨٢ "بان ليس هناك شخصاً فوق القـانون" هذا يعني حـتى يمكن محاسبة رئيس الدولة إذا انتهت مدة ولايته. وبعد مغامرة "بوكليوسـي" بجر الرئيس الى ميدان الحساب. من حيث المبدأ فان الرئيس الذي يرسل جنوده إلى حرب قد يكون مسـؤولا عن قتلهم سياسيا وأخلاقـيا ولكن ليس جنائيا. لان العلاقة الطبـيعية بين فعل إصدار الأمر "بـالغزو من قبل الرئيس" والنتيجة "موت الجنود المرسلين للغزو" لا يكفي للمسؤولية الجنائية.

المسؤولية على هذا الأسـاس غير معقولة وذلك لان العمل العسكري كان يستند الى غطاء قانوني وطني ودولي، أي كان مشـروعا من الناحية القانونية. على الرغم من أن الحـرب على العراق وللأسـباب الوجيهة كان مشكوكا فيها. بـيد أن ذلك لا يغير شـيئا من أن الجنود المتطوعين الذين تعرضوا طوعـا إلى خطر العمل العسكري والمخاطر الأخرى التي تهدد الجسد والحـياة من العدو وليس من المسؤول الذي صدر إليه الأمر. وينطبق هذا بصفة خاصة على تنظيم القاعدة والطالبان الذين لا يشـعرون بـأنهم ملزمون بالقـانون الدولي الإنسـاني بـل مستعدون لاسـتخدام كل الوسـائل الغادرة لتدمير العدو. ويمكن القول بعبارة أخرى بان بوش غير مسؤول جزائيا عن قتل جنوده، إذا كانوا قـد قتلوا بيد العدو.

سوف تكون هناك مشاكل صعبة في مواجهة تأسيس مسؤولية بـوش جنائيا. بالنسبة للتهم الموجهة إلى بـوش فان المحـاكم الدولية غير مختصة. فالمحكمة الجنائية الدولية في لاهاي المختصة فـي الجرائـم الأساسـية "الجرائم الدولية" مثل جرائم الإبادة الجماعية، وجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب لها فقط ولاية قـضائية على رعايا الولايات المتحـدة الأميركية إذا ما ارتكبـوا جرائم في إقليم دولة كانت قد وقعت اتفاقـية المحـكمة الدولية وقـت ارتكاب الأفعال الجرمية. فـإذا مـا نظرنا إلى الدول التي قامت الولايات المتحدة بعمل عسكري ضدها خلال فترة رئاسـة جورج بـوش، فان الدولة الوحـيدة التي تدخل ضمن الولاية القضائية للمحكمة الجنائية الدولية هي أفغانسـتان وذلك لأنها وقعت الاتفاقـية المذكورة ودخلت الاتفاقـية بالنسبـة لها في ١ أيار ٢٠٠٣ حيز التنفيذ.

ولكن هناك اتفاقـية ثنائية بـين الولايات المتحـدة وأفغانسـتان بمقـتضاها لا يمكن تسـليم رعايا الدولتين إلى المحـكمة المذكورة إلا بموافقـة الدولة الأخرى. وكما هو معروف فان الأمريكان لا يوافقـون تسليم جنودهم إلى هذه المحـكمة. وبذلك لا تستطيع المحكمة الحـكم عليهم. ونتيجة لذلك لايمكن تحميل جورج بوش المسؤولية عن أعمال جنوده بشكل مباشر.

وبذلك يمكن مطاردة جورج بـوش جنائيا خارج أمريكا فقط عن طريق دولة ثالثة. هذا قد يحـصل في دولة مثل ألمانيا التي قامت بتشريع قانون جنائي دولي خاص بـهـا في عام ٢٠٠٢ واعترفت بمبـدأ العالمية. وبـذلك أعلنت هذه الدولة بـأنها مختصة في مسالة مرتكبي الجرائم الدولية أينما وقعت وليس مهما من الذي ارتكبها. ولكن ممارسـة هذا الاختصاص قد يصطدم بمبـدأ دولي أخر ألا وهو مبدأ الحصانة.

على الرغم أن الحصانة الشـخصية لرئيس الدولة تنتهي بانتهاء ولايته ولكن تبقـى الحـصانة السـيادية للرئيس تسـري على الأعمال التي ارتكبها خلال فترة رئاسـته، لأنها جميعها تحسـب على الدولة. وهذا الأمر سوف يؤدي أيضا إلى أن تقوم دولة ثالثة بمحـاكمة رعايا دولة أخرى ارتكبت الجرائم في أراضيها. ألمانيا على سبيل المثال لا تستطيع من خلال محاكمها أن تحاكم رئيس أمريكي سابـق على تصرفاته خلال فترة رئاسته لان ذلك من شـأنه في نهاية المطاف خضوعه أمام محكمة أميركية. ولكن اليوم، وفي ضـوء الاعتراف بالحماية الجنائية لحقوق الإنسان، يتم وبصورة متزايدة تبني فكرة أو نظرية اسـتثناء الجرائم الأسـاسـيـة "الجرائم الدولية" من الحصانة السيادية. أي التغلب على حاجز الحصانة.

ولكن السـؤال الأخر الذي يطرح نفسـه: ما هي الأعمال التي يمكن مساءلة جورج بـوش عنها؟ يمكن محاسبته عن الأعمال التي اقترفتها قواته المسلحة، إذا ما شـكلت هذه الأفعال جرائم دوليـة ومـن هـذه الأعمال مثلا ما حـصل في جوانتانامو وأبـو غريب وكذلك الهجمات الأميركية ضد المدنيين في العراق وأفغانستان وأماكن أخرى. هذه الأفعال يمكن وصفها بـأنها جرائم حـرب، أذا كان الفاعل قـد ارتكبها بقـصد "نية" أو كان يعرف عواقـب أفعاله أذا كانت هذه الأفعال غير مبررة وغير معذورة.

فمثلا أذا أسرعت سيارة مدنية عند حـاجز عسـكري ورغم الطلبـات المتعددة لم تتوقـف ثم قـام الجنود بفتح النار وقتلوا الركاب المدنيين قد يمكن تبرير ذلك بحالة الضرورة أو على الأقل عذره بسـبب الخطأ، أما إذا لم تتوفر حالة الضرورة ولا عذر معفي فان الفعل يشكل جريمة حرب وهنا ليس فقط الجنود يسـألون عن هذا الفعل وإنما أيضا الرئيس الأعلى وقـد تصل المسـؤولية إلى رئيس الدولة أيضا.

الرؤسـاء وبـعد الاعتراف بمبـدأ "مسؤولية الرئيس الأعلى" في عام ١٩٤٥ أصبحوا معرضين للمساءلة عن أعمال تابـعيهم، أذا لم يتدخلوا لمنعها، أذا كانوا يعلمون بـذلك أو كان عليهم أن يعملوا بذلك.

مما سبـق فان من يرى وجوب محاسبة جورج بـوش جنائيا، فان من المفيد محـاكمته عن أفعال جنوده، ولكن ربـما يكفي كما أعلنه بعض الديمقـراطيين تشكيل لجنة تحقيق برلمانية للتحقيق في فضائح أدارة بوش وتوضيحها.